قوله 159 - { وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته } المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى والمعنى : وما من أهل الكتاب أحد إلا وا ليؤمنن به قبل موته والضمير في به راجع إلى عيسى والضمير في موته راجع إلى ما دل عليه الكلام وهو لفظ أحد المقدر أو الكتابي المدلول عليه بأهل الكتاب وفيه دليل على أنه لا يموت يهودي أو نصراني إلا وقد آمن بالمسيح وقيل : كلا الضميرين لعيسى والمعنى : أنه لا يموت عيسى حتى يؤمن به كل كتابي في عصره وقيل : الضمير الأول وقيل : إلى محمد وقد اختار كون الضميرين لعيسى ابن جرير وقال به جماعة من السلف وهو الظاهر والمراد الإيمان به عند نزوله في آخر الزمان كما وردت بذلك الأحاديث المتواترة { ويوم القيامة يكون } عيسى على أهل الكتاب { شهيدا } يشهد على اليهود بالتكذيب له وعلى النصارى بالغلو فيه حتى قالوا هو ابن ا .

وقد أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال : جاء ناس من اليهود إلى رسول ا A فقالوا : إن موسى جاء بالألواح من عند ا فأتنا بالألواح من عند ا حتى نصدقك فأنزل ا { يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء } إلى { وقولهم على مريم بهتانا عظيما } وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج في الآية قال : إن اليهود والنصارى قالوا لمحمد A : لن نبايعك على ما تدعونا إليه حتى تأتينا بكتاب من عند ا إلى فلان أنك رسول ا وإلى فلان أنك رسول ا فأنزل ا { يسألك أهل الكتاب } الآية وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس في قوله { أرنا ا جهرة } قال : إنهم إذا رأوه فقد رأوه وإنما قالوا جهرة أرنا ا قال : هو مقدم ومؤخر وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة في قوله { ورفعنا فوقهم الطور } قال : جبل كانوا في أصله فرفعه ا فجعله فوقهم كأنه ظلة فقال : لتأخذن أمري أو لأرمينكم به فقالوا : نأخذه فأمسكه ا عنهم وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله { وقولهم على مريم بهتانا عظيما } قال : رموها بالزنا وأخرج سعيد بن منصور والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال : لما أراد ا أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلا من الحواريين فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال : إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي ثم قال : أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي ؟ فقام شاب من أحدثهم سنا فقال له : اجلس ثم أعاد عليهم فقال الشاب فقال : اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا فقال : أنت ذاك فألقي عليه شبه عيسى ورفع عيسى في روزنة في البيت إلى السماء قال : وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثنتي

عشرة مرة بعد أن آمن به وافترقوا ثلاث فرق فقالت طائفة : كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء فهؤلاء اليعوقبية وقالت فرقة : كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه وهؤلاء النسطورية وقالت فرقة : كان فينا عبد الله ورسوله وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمدا فأنزل الله عليه { فآمنت طائفة من بني إسرائيل } يعني : الطائفة التي آمنت في زمن عيسى { وكفرت طائفة } يعني : التي كفرت في زمن عيسى { فأيدنا الذين آمنوا } في زمن عيسى بإظهار محمد دينهم على دين الكافرين قال ابن كثير بعد أن ساقه بهذا اللفظ عن ابن أبي حاتم قال : حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس وصدق ابن كثير فهؤلاء كلهم من رجال الصحيح وأخرجه النسائي من حديث أبي كريب عن أبي معاوية بنحوه وقد رويت قصته عليه السلام من طرق بألفاظ مختلفة وساقها عبد بن حميد وابن جرير عن وهب بن منبه على صفة قريبة مما في الإنجيل وكذلك ساقها ابن المنذر عنه وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله { وما قتلوه يقينا } قال : لم يقتلوا ظنهم يقينا وأخرج ابن المنذر عن مجاهد مثله وأخرج ابن جرير عن ابن جويبر والسدي مثله أيضا وأخرج الفريابي وعبد بن حميد والحاكم وصححه عن ابن عباس في قوله { وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته } قال : خروج عيسى ابن مريم وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عنه في الآية قال : قبل موت عيسى وأخرجا عنه أيضا قال : قبل موت اليهودي وأخرج ابن جرير عنه قال : إنه سيدرك أناس من أهل الكتاب عيسى حين يبعث سيؤمنون به وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر عنه قال : [ليس يهودي يموت أبدا حتى يؤمن بعيسى قيل لابن عباس أرأيت إن خر من فوق بيت ؟ قال : يتكلم به في الهواء فقيل : أرأيت إن ضرب عنق أحدهم ؟ قال : يتلجلج به لسانه] وقد روي نحو هذا عنه من طرق وقال به جماعة من التابعين وذهب كثير من التابعين فمن بعدهم إلى أن المراد قبل موت عيسى كما روي عن ابن عباس قبل هذا وقيده كثير منهم بأنه يؤمن به من أدركه عند نزوله إلى الأرض وقد تواترت الأحاديث بنزول عيسى حسبما أوضحنا ذلك في مؤلف مستقل يتضمن ذكر ما ورد في المنتظر والدجال والمسيح